الانجيل والسلم العام

بقلم حضرة الخوري بطرس فرج صفير احد اساتذة كلية القديس يوسف

تعدّدت المقالات على صفحات الجرائد وتكاثرت الخطب من على المنابر وتجاذب الخاصُّ والعامّ اطرافَ الحديث عن الحرب واسبابها وعن الصلح وشروطه وجالوا جولةً طويلةً في ميدان السلم العام وفي الوسائل التي يتدبّرها مندوبو الدول ودهاقنة السياسة في باريس عاصمة العلم والتمدُّن ليضمنوا للعالم امناً ثابتاً فيظلّ السلامُ مخيّماً على جميع الامم لا تطوى بنودهُ مدى الاحقاب. وما الدافع لاقامة المؤتمرات وعقد الجلسات واحتكاك الأدمغة واجتماع مفكري العالم في عرصات قصر فرسايل الشهير سوى صراخ الاشقياء وأنين المبؤوسين الذي تصطكُّ له اذان الملوك وتدمع له عيون الرؤساء وتتحرّك عاطفة الشفقة في قلوب الوزراء صراخ صادر من اعماق الصدور الكئيبة: ألا انصفونا من الحروب واقضوا على ايامها السود وأطلعوا بدور أمن وراحة تبدّد من ربوعنا ظلمات مصائبها وغياهب بلاياها. فحسبنا ما لحقنا من آفاتها وكفانا ما تجرّعنا من مرارتها

وكأني بعُمدة المندوبين الى تقرير الصلح قد أعاروا سمعهم الى هذه الشكاوي وعملت في قلوبهم زفرات المنكوبين فاخذوا يكفكفون جبينهم ويسهرون عيونهم ويواصلون الجلسات ويتابعون المناقشات فيقول لسان حالهم: ثقوا وأبشروا ستنالوا امانيكم وتحظوا قريباً ان شاء الله برغائبكم

هذه آمال طيّبة يتفاءل بها ذوو الثقة والرجاء الصالح لكنّ غيرهم من ارباب السياسة وذوي العقول الراجحة يرتابون في تحقيق تلك الاماني ولا يرون لها سنداً متيناً فيعتبرون الحرب آفة اشدّ من ان تقوى عليها مقدرة الناسة الجالسين على مقاعد مؤتمر الصلح لأن ما يحرّرونهُ من التقارير المفصّلة والبنود الصريحة المسهورة بامضاآت الملوك وتوقيعات الوزراء ربّما تحرقها نار القذائف ويمزّقها الحسام وقد يفعل السيف ما لا يفعل القلم وكم تغلّبت القوّة على الحقّ فلا يجد الحق طريقة لدفع الباطل الّا مقابل المدافع فهيهات ان يُستطاع حسمُ علل الحروب وإطفاء جمرتها

وان سألتَ على مَ يبني هؤلاء حكمهم السيّئ في البشرية وارتيابهم في تمكين السلام في العالم أجابوك : « كيف تستأصل شأفة الحروب من العالم قبل استئصال اسبابها مع ما يدفع الى إضرامها ؟ وليس هذا بالقريب المنال. وان سألت : وما تكون هذه الاسباب ؟ — هي الشهوات والجهل

الشهوات لا يخفى ان مسببات الحروب كثيرة منها استحلال المرء مال غيره وانقياد النفس الى وساوس الطمع وشهاتها بخسرة الخيلاء والتكبّر وتزوعها الى الجور الى غير ذلك من الاهواء التي لا تزال في افكار البشر لاسيما مَنْ علا مقامهم . قال فيلون في شرحه الوصايا : « ان حروب اليونان والبرابرة الموبقة سواء كانت اهليّة او اجنبية كان صدورها من ينبوع واحد اما عن شهوة الغنى او عن شهوة المجد او عن طلب الملذّات » . وهل يسهل اطفاء هذه الشهوات في قلوب البشر والمرء رغيب العين طمّاح لا يرى شيئاً الّا تمنّاه ولا تنتهي نفسه عن شيء طمعاً وشرهاً ولا ينال نصيباً من السلطان الّا ويسمو بنفسه تيهاً واستكباراً . واكثر ما يكون ذلك ملكٌ صافاه الدهر واناه من الخبرة في امور السياسة ما استوسق له الامر معها واستقرّ له الملك وحالفَ سائر الدول فبات في مأمن من انتصارها لاعدائه اذا ما اشتعلت بينها وبينه نيران الحروب . وكثيراً ما يخرجُ مثلُ هذا الملك عن رشده فيبغي ويتجبّر وربما سوّلت لهُ النفس الامّارة ان يعبث بدولة اضعف منه ويغير عليها طامحاً ببصره فاتحاً فاه ليبتلع حقوقها فتهبُّ تلك الدولة وتتألب حول ملكها وتتشبّث بكل ما لديها من اسباب الدفاع دفعاً للمظلمة عنها . فتأجّج عندئذ نيران حرب اسعرتها الاهواء البشرية ولا تتناولُ المدارك آنَ انطفائها ومَن يبيدُ ظلم الانسان ومطامعه

والظلم من شيم النفوس فان تجد ذا عفة فلعلّة لا يظلمُ

فامثال هذه الاهواء قد اضرمت المانية وحلفاؤها جذوة الحرب الاخيرة

الجهل وهب ان صيرنا المحال ممكناً ولانت اعطافُ الاهواء البشرية مُسلمةً أعنّتها لايادي رجال مؤتمر السلام وانقادت مطواعةً الى تقريراتهم بقي مسبّبٌ آخر لاثارة الحروب عبثاً يحاولون ازالتهُ لانّ العقول غالباً تقف عنده كليلةً ومجهودات

النفوس قصيرةً ألا وهو الجهل الذي لا تزال ظلماتهُ مخيمةً على عقل الانسان مهما تناول من العلوم وأدرك من المعارف . فيؤدّي به الجهل الى مواطن الخطإ والضلال ومنهُ الى الاختلاف والتنافر والحروب ولا غرو فانهُ من الثابت ان عقل الانسان قاصر طبعاً عن ان يحيط علما لكثير من الحقائق

والتاريخ اكبر شاهد على ان عددًا وافرًا من الحروب لم يكن للمظالم والمطامع يدٌ في اضرامها بل قد أشعلها إشكالٌ وغموض فيما يتعلّق بحقوق الدول المتحاربة قصرت العقولُ عن حلّ عراها المعقّدة وقد امسى كل فريق يوقن انَّ الحقّ بجانبهِ والبُطلَ في جانب الفريق الآخر واذ لا سبيل الى الوفاق فيحكّمان بينهما الحسام

ومن الحروب التي اشعل الجهلُ نارها ما جرى بعد موت ملك الانكليز ادوار الشهير بالمعترف اذ قام هرلد الدنمركي يطالب بحق الخلافة على عرشه وقام مثلهُ في فرنسا غليوم الفاتح يدّعي بالأحقّية . فتفرقت في حلّ المشكل آراء اهل العلم والخبرة ولم يفكّ عراه الّا الحسام ختمها غليوم بدخوله عنوةً عاصمة الانكليز فتربّع فيها على عرش الملك مؤيّدًا مظفّرًا

ومن هذا القبيل حرب لويس الرابع عشر واسبانيا فقد كان سببها اختلاف بين الدولتين فيما يخصّ السيادة على بلاد فلندرة فتأجّجت عندها نيران الحربِ وعقدت لفرنسة ألوية النصر بفضل القائدَين كوندهِ وتورين وهما البطلان اللذان تجسّمت فيهما البسالة الفرنسية . وما مثلُ الدولِ العظام لدن استحكام الشقاق بينهما فيما يخصّ حقوق كلٍ منها سوى مثل خصمين يتنازعان على ملك وراثةٍ او غير ذلك . فبعد البحث والتنقيب وابراز البينات الواضحة والادلّة المقنعة الى تأييد شاهدي العقل والنقل يظلُّ كلٌّ من الخصمين على يقين من حقّ نفسهِ وبطلان دعوى خصمه فلا يلبث ان تعقبَ هذا الاختلافَ العنيف مرافعةٌ لدى الحاكم الى ما يتبع ذلك من الخسارات ويجرُّ من البغض والعداوات . وذلك مُتأتٍ عن جهل الحقيقة

فاذا كان من الامور الوبيصة ان يُزحزحَ احدُ افرادِ الناس عن يقينهِ من حق نفسهِ فليس باقرب منهُ متالًا اقناع دولة عظيمة القدر عزيزة السلطان بانَّ الصواب بجانب خصمها والباطل نصيبها فلا يزال من ثمَّ كلٌّ منهما متشبثًا بما لها من الحقوق فتتأهب لتنالَ بالسيف ما لم تنلهُ بالادلّة والبراهين . وعليه فطالما لا يتيسّر لاصحاب

المؤتمرات ان يلاشوا الجهل والضلال من عقول الناس كذلك لا أمل ان ينتزعوا السلاح من الايدي ويثبتوا ملك السلام

ولقد اتت الحوادث مؤيدةً لما تقدَّم لأنَّهُ منذ قام الانسان على الارض لم تضع الحرب قطُّ اوزارها . فاذا قلَّبتَ صفحات التاريخ حديثهً او قديمةً تجدها مصبوغةً بدم المتحاربين . نضرب صفحاً عن تاريخ الاعصر القديمة وحروب الاسكندر وقيصر التي وحدها أودت بحياة الملايين من البشر . ومثلها المغول وجنكزخان وتيمورلنك الذي بنى في العراق برجاً شاهقاً جدرانهُ رؤوس البشر . وكم اشتعل من الحروب التي تشيب لمجرَّد ذكرها وذكر اهوالها ناصية الطفل الوليد في صدور الاسلام وامتدت نيرانها مدةً طويلة في الفرس والعجم وسوريَّة والاناضول ثم امتدَّت ألسنتها الى مصر والجزائر والاندلس حيث حكَّموا السيف في رقاب العباد . وكم ابادت من النفوس والنفائس حرب المائة سنةٍ بين فرنسة وانكلترَّة حتَّى اخمدت جذوة نارها القديسة البطل جان درك

وما قولنا بالحروب القريبة العهد من زماننا كحروب نابوليون الاوَّل التي دوَّخت كلَّ اوربا وأسالت على حدِّ السيوف نفوس الشبان رخيصةً الى ان قيلَ إن الأمهات من حرِّ انفاسهن كنَّ يقفنَ على مرِّ نابوليون يتهدَّدْنَهُ بالايادي ويكدْنَ يفترسْنَهُ بالصدور المتألمة المملوءة حقداً وضغينة . وما انتهت ويلاتها حتى أشعلت حرب الجزائر وبطلها الشهير عبد القادر الجزائري الى غير ذلك من الحروب التي تتابعت في العالمين القديم والحديث دون انقطاع في القرن التاسع عشر لاسيَّما الحرب السبعينيَّة بين المانية وفرنسة . وما دخل القرن العشرون حتى شهدنا منذ اوائله اهوال الحروب فدوَّت المدافع في الشرق الأقصى ولمع السيف في طرابلس الغرب وحمي وطيس الحرب في البلقان وناهيك بهذه الحرب العمومية التي ما برحنا نشعر بمقابيلها وقد شوَّهت محاسن الانسانية وقوَّضت صروح المدنيَّة . كأن الحرب قد آلت على نفسها ان تروي الارض بالدماء . وكأن عالمنا هذا هيكلٌ يضحَّى على مذبحه بالنفوس البشرية في كل اين وآن . ومن العجب انَّ المرء يكره الحروب وهو لا يزال يذكي نيرانها ومثلهُ على حدِّ ما قال ابو العتاهية :

لا تأمن الدنيا على غدرها كم غدرتْ قبلُ بأمثالكا
أجمعتِ الناس على ذمِّها وما ارى منهم لها تاركا

*

ولسائل يسأل: ناشدتك الله أليس لجام يستطيع ان يكبح جماح الشهوات ويوقف المطامع البشرية ويكشف جهل العقول فينشر ألوية السلام على المعمور ؟ قلنا: لو اراد الانسان ووطّد عزمهُ على ذلك لما فاتهُ الامر. وإنْ هذا الا بقوة الانجيل

ولا بدع ان كان الانجيل المقدس ينبوع السلام اذ ان السيد المسيح ربُّ كل سلام لا بل هو السلام بعينه حسب معتقد الشعوب القديمة كلها فيهِ قبل مجيئهِ: اذ جاء في اساطير الاولين من هنود ومصريين ويونان وفرس ورومان ان تلك الشعوب اجمعت على انتظار رجل عظيم او ملك خطير يصلح ما فسد في البشر وينهض المرء من سقطتهِ ويشرق على المسكونة شمس صلح وامان لن تميل الى المغيب

وذلك الشعور الخفي الجاثل في صدور الاجيال الوثنية القديمة كان بمثابة عهد توارثهُ الخلف عن السلف. على اننا نجده اشدَّ وضوحاً في نبوات العهد القديم. منها ما جاء في اشعيا (٩: ٦): «انه ولد لنا ولدٌ أُعطي لنا ابنٌ فصارت الرئاسة على كتفهِ ودُعي اسمهُ عجيباً مشيراً إلهاً جباراً أبا الابد رئيس السلام». وقد وصف هذا النبي حالة الشعوب اذا ما اتخذت تعاليم المسيح دستوراً تأتمر به حيث قال (٢: ٤): «ويقضي (المسيح) للشعوب الكثيرين فيضربون سيوفهم سككاً واسنتهم مناجل فلا ترفع أُمةٌ على أُمة سيفاً ولا يتعلمون الحرب من بعد». الى ما هنالك من نبوات متتابعة مثلت المسيح كملك السلام

وبصفتهِ هذه عرفته الكنيسة. وبانجيل السلام بشَّر الرسل في أقطار المسكونة. قال القديس بولس (افس ٢: ١٤ — ١٧): «المسيح هو سلامنا ... جاء وبشَّركم بالسلام انتم البعيدين وبشر بالسلام القريبين». وقد دعا الانجيل باسم انجيل السلام فقال (افس ٦: ١٥): «البسوا درع البرّ وأنعلوا اقدامكم باستعداد انجيل السلام». ومثل هذه الآيات كثير. وكفى على ذلك شاهداً ما انشدهُ الملائك مبشرين بميلاد المسيح العجيب (لوقا ٢: ١٤): «المجد لله في العلى والسلام للناس الذين بهم المسرَّة». هذه اول انشودة ترنَّمت بها البشرية في مفتتح عهد السلام وهي هي شعار العهد الجديد ولم تكن حياة المسيح وتعاليمهُ الا تأييداً لهُ وعملاً بمنطوقهِ

اما تعاليم المسيح فتلوح من كل صفحات الانجيل المقدس. فانَّ من يمعن النظر

بجانبه يعلم العالم اليقين انّ الانجيل منبع الأمن والسلام اللهمّ اذا طالعها غير مراود في اعماله غير مسدل على عينيه غشاوة الأهواء والاغراض . ولا غرو فان ما القاهُ السيد المسيح من مواعظ وكثير من تعاليم وسنّ من شرائع نجده منحصراً في مبدأين يكاد الانجيل كلّه يكون لها شرحاً وبياناً وتأييداً : اولها المحبّة بما تثمر من إخاء ومُسالمة وتَاقي الاساءة بالحلم والتغاضي عن الذنوب ومحبة الاعداء . وثانيها مبدأ قهر النفس وكبح شهواتها . فاما المحبة فقد ابلغها المسيح الى درجة لم تخطر على بال احد من المشترعين القدماء حتى موسى النبي . فانه عزّ وجلّ لم يستثنِ الاعداء انفسهم من محبة القريب بل قضى صريحاً بحبّهم حيث قال : « قد سمعتم انه قيل احبب قريبك وابغض عدوك اما انا فاقول لكم احبُّوا اعداءكم وأحسنوا الى من يبغضكم وصلُّوا لاجل من يُغتنكم ويضطهدكم لتكونوا بني ابيكم الذي في السموات لانه يطلع شمسه على الاشرار والصالحين . . فانكم ان احببتم من يحبكم فاي اجر لكم ؟ أليس العشارون يفعلون هكذا وان سلّمتم على اخوانكم فاي فضل عملتم اليس الوثنيون يفعلون ذلك » (متى ٥ : ٤٢)

وعليه لن يفوتَ ذوي البصائر النقّادة ان مصيبات الحروب والفتن في كل آن وابن على تعدّد اشكالها تنحصرُ في مخالفة لهذين المبدأين إمّا تعدٍ على حقوق الناس صادرٍ عن البغض والازدراء والضغينة واما ركوب النفس هواها طمعاً كان او كبراً او طلباً للملذّات الى ما شاكل من الشهوات التي اخذ الانجيل على نفسه اطفاء نيرانها المتّقدة . واذا ما اردنا ان نذكر ما ورد في الانجيل عمّا نحن في صدده لطال بنا الكلام فنجتزئ باليسير فيه ما يسترقّ الاسماع ويقنع الألباب . فانه تعالى حتم بالغفران للمسيء « لا الى سبع مرات بل الى سبعين مرّة سبع مرات (متى ١٨ : ٢٢) » اي دائماً بلا انقطاع وأوصى بأن لا تغرب الشمسُ على أحد وهو غضبان على اخيه بل يَدَعَ قربانه إن تذكّر أنّ اخاه واجدٌ عليه فيترضّاه ثم يعود الى تقدمة قربانه (متى ٦ : ٢٢) . ومن وصاياه الى تلاميذه قوله (متى ٥ : ٢٩) : « لا تقاوموا الشرير بل من لطمك على خدك الايمن فحوّل له الآخر ومن اراد ان يخاصمك ويأخذ ثوبك فخلِّ له رداءك ايضاً ومن سخّرك ميلاً فامشِ معهُ ميلين »

وقد اختصر ابو الريحان البيروني احد ائمة الاسلام هذا التعليم في كتابه المعنون

« في تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل او مرذولة » (ص ٢٨٠) حيث قال: « انها (اي النصرانية) مبنية على الخير وكف الشر من ترك القتل اصلا ورمي القمصان خلف غاصب الطيلسان وتمكين لاطم الخد من الخد الأخرى والدعاء للعدو بالخير والصلاة عليه وهي لعمري سيرة فاضلة » (١)

واما تعليم السيد المسيح في قهر النفس وكبح الشهوات على تعدد اسمائها فمستفاد مما ذكر من الآيات ومن التطويبات الثماني التي لم يخرج مثلها من فم انسان فقد قال ونعم القول: « طوبى للمساكين بالروح . طوبى للحزانى . طوبى للجياع والعطاش الى البر . طوبى للرحماء . طوبى للنقية قلوبهم . طوبى لفاعلي السلام . طوبى للمضطهدين من اجل البر » الى غير ذلك من الآيات والمبادىء التي تميت اهواء من يتبعها وتكسر النفس عن شهواتها والتي يأمن معها الشعوب والملوك العثرات في ورطة الحروب اذا ما تلقوها بسرة وارتياح فأدخارها في عواندهم وشرائعهم

واي مثل اصح واصدق من مثل المسيح اذ بكت اثنين من تلامذته الذين طلبا منه ان يعاقب اهل مدينة لم يقبلوه فيها . وقد اقبل على مار بطرس بالملام ومنعه عن إعمال السيف في رقاب من وثبوا عليه ليقتادوه الى الموت . ولم يكتف بالكلام بل اعطانا في شخصه احسن مثال لما غفر لاعدائه من على الصليب وصلى من اجلهم الى ابيه ؟ الى غير ذلك من الاعمال التي بها ايد تعاليمه السلمية

ولم تفت هذه الحقيقة بصيرة من هو بلا امتراء احد امراء الشعر العصري احمد شوقي بك اذ قال في قصيدته الاندلسية الجديدة :

عيسى سيبك رحمة ومحبة في العالمين وعصمة وسلام
ما كنت سفاك الدماء ولا امرأ هان الضعاف عليه والايتام

فيا طالبي الامن والسلام والصلح العام نعم ما تطلبون لكن لا يذهلن عن البابكم قول الشاعر :

اذا ما انيت الامر من غير بابه ضللت وان تقصد الى الباب تهتدِ

واما باب السلام الانجيل :

---

(١) عن كتاب اثبات الوهية المسيح للأب ل . شيخو (وجه ١٨٣)

فمن تهذّبت نفسه على تعاليم الانجيل وجعل اقواله صراطاً يسير عليه غدت نفسهُ اسنى من ان تطالها يد المطامع السافلة واضحت ارادتهُ ارسخ من ان تتداعى مبانيها عند هبوب انواء الشهوات فتحول عن حبّ الاستئثار والاستعباد الى التطبُّع باكرم طباع الإخاء والمسالمة الحقَّة . واذا تخلّق بهذه الاخلاق الوئيس والمرؤوس والوفيع والوضيع والكهل والوليد عمّ الوئام . اجل ان الانجيل هو الطبيب المؤاسي لأدواء البشرية اذ يستأصل من اعماق القلوب جراثيم الطمع والظلم والاغتيال ويقتلع اصول التنافس والمنازعات . فاذا ما خفقت راية الانجيل قلّ خفقت راية السلام

النصرانية وآدابها
بين
عرب الجاهلية

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

٢ الحديث والتوراة

رأيت كم روى العرب في عهد الجاهلية واوّل بزوغ الاسلام من الحكم التي استفادوها من الاسفار المقدّسة . ولنا على ذلك شاهد آخر في الاحاديث النبوية التي رواها اقدم المحدّثين عن نبيّ الاسلام ننقل بعض ما وقفنا عليه منها فيظهر القرّاء الكرام كم كانت شائعة في ذلك الوقت التعاليم النصرانية . وفيه برهان جليّ على كون التوراة واسفار العهدين القديم والجديد كانت منذ زمن الجاهلية واوّل الاسلام معربة وان لم نعرف ماذا جرى لتلك التعريبات القديمة راجع (في المشرق ٤ : ٩٩ — ١٠٨) مقالتنا المعنونة « نسخ عربية قديمة في الشرق من الانجيل الطاهر » . اما ما نرويه هنا من الحديث فقد وجدناهُ في مجاميع المحدّثين الاثبات كصحيح الامام البخاري